﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: 185]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ربط شناعة فعل اليهود، بحقيقة الموت الّذي يتجرّعه الأفّاكون لا محالة

لَمَّا بيَّنَ سياق النَّصِّ القرآنيِّ في الآيتيْن السَّابقتَيْن، شناعةَ فعل اليهودِ وكَذِبَهم على اللّه، وكُفرَهم بالبيِّنات، جاءتْ هذه الآيةُ الكريمةُ لتُسطِّر حقيقةً لا يمكنُ أن يُنكِرَها أحدٌ، وهي حقيقةُ الموت، ذلك الكأسُ الّذي تَتجرَّعُه كلُّ الخلائق، ولو أنَّ الجميعَ وَعَوْها حقَّ الوَعْي، وآمنواْ بما يأتي خَلْفَها من مصير محتوم، يُفضي إمَّا إلى الجنَّة أوْ إلى النّارِ، لَمَا كفرواْ باللّه، ولاسْتقامتْ حياتُهم في الدُّنيا على ما يُرضي اللّه، بإيمانهم حقَّ الإيمان بالمصير الَّذي ينتظرهم، لقولهم الكَذِب في حقِّ اللّهِ وحقِّ أنبيائِه، وحينها لن يتجرَّؤواْ على قَتْلِ أنبياءِ اللّهِ، وهم خيرُ خَلْقِ اللّهِ.

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تُوَفَّوْنَ﴾: من (وَفَى بِعَهدِه) يَفي وَفَاءً، وأَوْفَى: إذا تمَّمَ العَهدَ، ولم ينقُضْ حفظَه، قالَ تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: 40]، وتَوْفيةُ الشَّيء: بَذْلُه وافيًا، واسْتيفاؤه: تناوُلُه وافيًا، قالَ تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [آل عمران: 25]، وقولُه تعالى: ﴿تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ يعني: تَسْتَوفُونها كاملةً، وتتناولونَها وافيةً؛ وهذا مصداقُ قولِه تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزّلزلة: 7 - 8].

2) ﴿زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾: زَحَّهُ: نَحّاهُ عن مَوْضعِه، ودَفَعَه، وجَذَبَه في عَجَلةٍ، وزَحْزحَه عنه: باعَدَه فَتَزَحْزَحَ، وهو بِزَحْزَحٍ منه؛ أي:

بِبُعْدٍ، والزَّحْزاحُ: البعيدُ[1]، وزُحْزِحَ؛ أي: أُزيلَ عن مَقرِّه فيها[2]، " والزَحْزحة التّنحيّة عن الشّيء، وفي التّنزيل ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾، و(تَزحزَح) الشّيءُ و(تَحزحَز) سواء"[3]، وفي حديث الحسن بن علي ﷺ: (كان إذا فرغ من الفجر، لم يتكلّم حتّى تطلع الشّمس وإن زحزح)، أي وإن أريد تنحيته عن ذلك، وأزعج وحمل على الكلام[4].

3) ﴿مَتَٰعُ﴾: المَتاعُ: انتفاعٌ مُمتدُّ الوَقْت، يُقالُ: مَتَّعهُ اللّهُ بكذا، وأَمْتعَه، وتمتَّعَ به، قالَ تعالى: ﴿وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨﴾ [يونس: 98]. وكلُّ مَوضعٍ ذُكِرَ فيه (تَمتَّعوا) في الدُّنيا، فَعلى طريقِ التَّهديد، وذلكَ لما فيه من معنَى التَّوسُّع، واسْتمتعَ: طلبَ التَّمتُّع، قالَ تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ﴾ [الأنعام: 128]. وقولُه تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦﴾ [البقرة: 36]، تنبيهًا أنَّ لكلِّ إنسانٍ في الدُّنيا تمتُّعًا مدَّةً معلومة، ويُقالُ لما يُنتفعُ به في البيت: مَتاعٌ، وكلُّ ما يُنتفَعُ به على وجْهٍ ما فهو متاعٌ ومُتعةٌ، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ﴾ [يوسف: 65]، أي: طعامَهم أوْ وِعاءَهم؛ وكلاهما مَتاع، وشرابٌ ماتعٌ، أي: الَّذي يُمتعُ بجَودَتِه[5].

4) ﴿ٱلۡغُرُورِ﴾: يُقالُ: غَرَرْتُ فلانًا: أصبتُ غِرَّتَه، ونِلتُ منه ما أُريدُه، والغِرَّةُ: غَفْلةٌ في اليَقَظة، والغِرارُ: غفلةٌ مع غَفْوة، وأصلُ ذلكَ من الْغُرِّ، وهو الأثَرُ الظَّاهرُ في الشَّيء، وغَرَّهُ كذا غُرورًا؛ كأنَّما طواه على غَرِّه، قالَ تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦﴾ [الانفطار: 6]. وقالَ تعالى: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠﴾ [النّساء: 120]، فالغُرورُ: بالضَّمِّ ما اغْتُرَّ به من متاعِ الدُّنيا، والغَرُورُ، بفتح الغَيْن: كلُّ ما يَغُرُّ الإنسانَ من مالٍ وجاهٍ، وشهوةٍ وشَيْطان، والغَرَرُ: ما انطوى عنه أمره، وخفي عليه عاقبته أو عيوبه، ويكون في البيع والشّراء وغير ذلك، ومنه في الحديث: «أنَّ رسول اللّه ﷺ نَهى عن بَيْع الغَرَر»[6]، والغَريرُ: الخُلُقُ الحَسنُ، اعْتبارًا بأنَّه يَغُرُّ، ويُقالُ: غَرَّتِ النَّاقةُ: قلَّ لبنُها بعدَ أنْ ظُنَّ أنْ لا يَقِلَّ، فكأنَّها غرَّتْ صاحبَها[7].

(1) الفيروزآبادي، القاموس المحيط: (زَحَحَ).
(2) الرّاغب، المفردات، ص: 378.
(3) ابن القَطّاع، كتاب الأفعال: 2/110.
(4) ابن الأثير: النّهاية: 2/297.
(5) الرّاغب، المفردات، ص: 757 - 758.
(6) مسلم، الحديث رقم: 1513.
(7) الرّاغب، المفردات، ص: 603 - 604، وابن منظور، اللّسان: (غَرَرَ).

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

الموتُ نزوحٌ عن الدّنيا الغرور، والفوزُ حيازةُ الجنّة، ووقاية من نار السّعير

نطقتْ هذه الآيةُ الكريمةُ بحقيقةٍ يخشى مواجهتَها النَّاسُ جميعُهم، ألَا وهي حقيقةُ الموتِ، الَّذي يتجرَّعُه الخلقُ كُلُّهم، ولكنَّ ذكْرَ الآية الكريمةِ للموتِ جاء في مَعرِضِ التَّزهيدِ في الدُّنيا بفنائِها، وأنَّها مَتاعٌ، تَفْتِنُ بِزُخْرُفِها، وتخدَعُ بِغُرورِها، وتَغُرُّ بمحاسِنها، والبقاءُ فيها مُؤقَّتٌ، ثمّ يكون الرَّحيلُ عنها إلى دارِ القَرار، الَّتي تُوفَّى فيها النُّفوسُ ما عملتْه في الدُّنيا من خيرٍ وشرٍّ، والفائزُ فيها مَنْ نجَّاه اللهُ مِنَ النَّار، وأَدْخَلهُ الجنَّة[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة ﴿كُلُّ﴾، و﴿نَفْسٍ﴾ في مطلع الآية:

أفادَت (كلّ)، وتنكير (نفس) العموم، وفيه تسليةٌ للمؤمنين

حَوَتْ مقدِّمةُ هذه الآية ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ الوعدَ والوعيدَ للمصدِّقِ والمكذِّب[2]، وهي مع إفادتها العموم فقد حَملَتْ في مَنْطِقِها غَرَضًا نبيلًا جليلًا، وهو تسليةُ المؤمنين على ما أصابَهم يومَ أُحُد، وتَفنيدُ المنافقين في مزاعمِهم أنَّ النَّاسَ لو اسْتَشاروهم في القتالِ لَأشارُوا عليهم بما فيه سلامتُهم فلا يَهلِكوا، فخَتمَ بيانُ اللهِ تعالى ما سبقَ بما هو جامعٌ لِلْغَرضَيْن في قولِه ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾؛ لأنَّ المصيبةَ والحُزْنَ إنَّما نَشَآ على موتِ مَنِ اسْتُشْهِدَ من خِيرَةِ المؤمنين، يعني أنَّ الموتَ لَمَّا كانَ غايةَ كلِّ حَيٍّ، فلوْ لم يموتُوا اليومَ لَماتوا بعدَ ذلكَ فلا تَأسَفُوا على موتِ قَتْلاكم في سبيلِ اللهِ، ولا يَفتِنَكُمُ المنافقونَ بذلك[3]، وزاد تنكير ﴿نَفْسٍ﴾ عموميّة ﴿كُلُّ﴾، وشمولها.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/383، والسّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 120.
(2) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 1/615.
(3) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/187 - 188.

بلاغة المجاز في لفظ التذوق:

وجـــه المـجـاز إطـلاق الـذوق عـلى حـصـول الموت ووجدانه

والذَّوقُ هنا في قولِه: ﴿ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ أُطلِقَ على وِجْدان الموت، على أنّه مجاز لغويّ، وقد تقدَّمَ نظيرُه عندَ قولِه: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾، وشاعَ إطلاقُه على حُصولِ الموت، قالَ تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ﴾ [الدُّخان: 56]، ويُقالُ: ذاقَ طعمَ الموت[1].

وفي إطـلاق لفظ الـــذوق وجـه استـعـارة شبّه فيه المـوت عند إقـبـالـه بـالأمـر الـــذي يـــذاق فيُؤلم، أو يذاق فيُسعد

"عبر عن إقبال الموت بذوقه، للإشارة إلى أنه عند ذوق الموت سيكون المذاق إما مرًّا حنظلًا يومئ إلى ما يتبعه من عقاب، وإما أن يكون المذاق حلوا هنيئًا، فيكون إيماءً إلى ما يكون يوم القيامة من نعيم مقيم، والتّعبير عن حلول الأجل في الدنيا بذوق الموت فيه استعارة بتشبيه الموت عند إقباله الرّهيب أو الرغيب بالأمر الذي يُذاق فيؤلم، أو يذاق فيسعد[2].

وأسـنـد الـذّوق إلى الـنّـفس؛ لأنها الباقية مع تغيّر حياتها من حال إلى حال

"وهنا إشارة بيانية أخرى رائعة هي أنه أسند ذوق الموت إلى النفس، ولم يسنده إلى الشخص؛ لأن النفس روح، والشخص جزءان جسم ونفس، وإن النفس تبقى بعد مفارقة الجسم، فهي التي تذوق الموت، كما ذاقت الحياة الدنيا، فإسناد الذوق إليها لأنها باقية، وقد تغيرت حياتها من حال إلى حال، فبعد أن كانت في غلاف من جسم من الطين، قد تجردت أبدا منه حتى تلتقي به يوم البعث والنشور"[3].

نكتة تأنيث لفظة (الذوق):

أُنّـــثَ (ذائـقـة) مـراعـاةً لمعنَى (كُـــلّ)، وفي تأنيثها تلميحٌ بضعف النفس، ووهنها

و﴿ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ الخبر، وأُنِّثَ ﴿ذَآئِقَةُ﴾ مراعاةً لمعنَى ﴿كُلُّ﴾؛ لأنَّ كُلَّ نَفْسٍ نُفوس، ولو ذُكِّرَ مراعاةً لِلَفظِ ﴿كُلُّ﴾ جاز، وإضافةُ ﴿ذَآئِقَةُ﴾ غيرُ مَحْضَةٍ؛ لأنَّها نَكِرةٌ يُحكَى بها الحال[4]، ويبدو أنّ في تأنيثها تلميحٌ بضعف النفس، ووهنها.

(1) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/188.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 3/1535.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 3/1535.
(4) العكبري، التبيان: 1/161.

براعة أسلوب القصر:

أفـادَ أسـلـوبُ القصر، حَصْرَ تَوْفيةِ الأجـورِ يـومَ القيامة، وعـرَّضَ بإثباتِ حـيـاةِ الـبَرْزخِ ونـعـيـمِ الـقـبرِ وعذابِه

في قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ قصرُ قَلْب بـ ﴿وَإِنَّمَا﴾[1]؛ لتنزيلِ المؤمنين فيما أصابَهم مِنَ الحُزن على قَتْلاهم وعلى هزيمتِهم، مَنزلةَ مَنْ لا يترقَّبُ من عملِه إلَّا منافعَ الدُّنيا، وهو النَّصرُ والغَنيمة، مع أنَّ نهايةَ الأجرِ في نعيمِ الآخرة، ولذلكَ قالَ: ﴿تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾، أي: تُكمَلُ لكم يومَ القيامة[2]. وفيه تعريضٌ بإثباتِ حياة البَرْزخ ونعيمِ القبرِ وعذابِه.

قصديّة التعبير بلفظ (التوفية):

في لفظِ (التَّوفيةِ) إشـارةٌ إلى أنَّ بعضَ أجورِهم يصلُ إليهم قبلَ يومِ القيامة

في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: التَّوْفيةُ: إعطاءُ الشَّيءِ وافيًا، ويُطلِقُها الفقهاءُ على مُطلَقِ الإعطاءِ والتَّسليم[3]، وفي لفظِ (التَّوفية) إشارةٌ إلى أنَّ بعضَ أجورِهم يصلُ إليهم قبلَ يومِ القيامة، الَّذي يقومُ فيه النَّاسُ مِنْ قُبورهم[4]، وذلكَ يُثبِتُ وجودَ حياةَ البَرزخِ ونعيمَ القبر، وعذابه، وما يكونُ فيها من توفية لبعض الأُجور[5].

بلاغة الالتفات في الآية:

الْتَفَتَ من خطاب الاسمية إلى الفعليّة؛ لتغيّر الخطاب إلى الأشخاص:

الخطابُ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ للأشخاص لا للنفوس وحدها، فالمعروف أنّ ذوق الموت للنفوس ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، أمّا الجزاء فيكون للأشخاص؛ إذ تلتقي الجسوم بالنفوس، ولذلك عدلَ إلى الفعليّة مخاطبًا الأشخاص[6].

---

(1) القصرُ من أساليب البلاغة، وهو: تخصيصُ أمرٍ بأمر، بطريق مخصوص، وقَصْرُ القَلب هو أحدُ أقسام القَصْر من حيث المخاطبون، وهو يكون إذا كان المخاطَبُ يعتقدُ عكس ما نقول، لأنَّنا أردنا أن نقلبَ له مُعتقدَه رأسًا على عَقِب، ينظر: فضل عباس، أساليب البيان، ص: 168، و173 - 174.

(2) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/188.

(3) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/188.

(4) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 1/615.

(5) الزّمَخْشري، الكشّاف: 1/485.

(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 3/1536.

علّة جمع الأجور:

وجـــه جـمـع الأجـور مـراعـاةُ أنواعِ الأعمال

الأجورُ: جمعُ الأَجْرِ بمعنَى الثّواب، وَوَجْهُ جمعِه مراعاةُ أنواعِ الأعمال[1]، وتعدد صنوفه، ورحابة ميادينه.

فائدة التّعبير عن فعلي الزّحزحة والإدخال بصيغة المفعول:

أُسند الفعلان للمجهول؛ لأنّ الفاعل معروفٌ

وأُسند الفعل للمجهول لأنّ الفاعل معروفٌ من ناحية، وللانشغال بالفعل نفسه عن الفاعل من ناحية أخرى.

سرّ إيثار فعل الزحزحة:

في إيـثـار لفظ الزحزحة إبانةٌ لعظيم هول النّار، وشدّتها

الفاءُ في قوله: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ﴾ للتّفريع على ﴿تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ﴾، وحقيقةُ فعلِ زُحزحَ أنّها جَذبٌ بسُرعة، وهو مضاعَفُ زَحَّه عن المكانِ: إذا جَذَبه بعَجَلة، وأبعدَه بتكرير الزَّحِّ، ونحّاه[2]، فـ" أبان عظيم هول النّار، وشدّتها بالتّعبير عن النّجاة عنها بالزّحزحة كأن كلّ شخص كان مشرفًا على السّقوط فيها، وأنّ مجرّد الزّحزحة عنها فوز كبير، وفيه إيماء إلى أن أعمال الناس سائقة لهم إلى النار؛ لأنّها حيوانية في الغالب حتى لا يكاد يدخل أحد الجنّة إلا بعد أن يكون زحزح عما كان صائرا إليه من السّقوط في النار"[3].

في إيـثـار لفظ الزحزحة تصوير دقيق لعفو الله بأن المرء لا يبعد عن النار إلا بعد تـكـرار الرحـمـة والمغفرة

وتشير جملة الزحزحة إلى " أنّ أعمال الإنسان ترديه ولا تنجيه، وأنه لكي يبعد عن النار ويتجنبها يكون كالمحتاج لمجهود، وتكرر الزح والتنحية كشيء ثابت ملازم لها، لا يبعد عنها إلا بمجهود، وذلك تصوير دقيق لعفو الله ورحمته وغفرانه، وأن المرء لا يبعد عن النار إلا بعد تكرار الرحمة والمغفرة"[4].

براعة المقابلة بين النعمتين:

وإنّما جُمعَ بين قوله: ﴿زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ و﴿وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ مع أنَّ

(1) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/188.
(2) الزّمَخْشري، الكشّاف: 1/485، وابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/188.
(3) رضا، تفسير المنار: 4/223.
(4) رضا، تفسير المنار: 4/223.

وجه المقابلة الجمعُ بين نعمتي: النّجاة من النار، وإدخال الجنّة

في التّاني غُنيةً عن الأوّل؛ للدّلالة على أنَّ دخولَ الجنَّة يشتملُ على نعمتَيْن عظيمتيْن: النَّجاةُ من النَّار، ونعيمُ الجنَّةِ.

وجه التحقيق في جملة المجازاة:

في التحقيق بـ (قد)، والفعل الماضي ثباتُ وقوع الجزاء، بنيلِ المُبتغى مِنَ الخَيْر

وقولُه: ﴿فَقَدْ فَازَ﴾ تحقيقٌ للفوزِ بما أفادَه حرفُ التحقيق ﴿فَقَدْ﴾، والفعل الماضي ﴿فَازَ﴾ الدّال على التحقّق، والوقوع، أي: ثباتُ نيلِ المُبتغَى مِنَ الخَيْر؛ لأنَّ تَرتُّبَ الفَوزِ على دخولِ الجنَّة، والزَّحزَحَةِ عَنِ النَّارِ معلومٌ، فلا فائدةَ في ذكر الشَّرطِ إلَّا لهذا، والعَرَبُ تعتمدُ في هذا على القَرائِن، فقد يكونُ الجوابُ عَيْنَ الشَّرطِ لبيانِ التَّحقُّق، نحوُ قولِ القائل: مَنْ عَرَفَني فقدْ عَرَفَني، وقدْ يكونُ عينَه بزيادةِ قَيْدٍ، نحوُ قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ۝٧٢﴾ [الفُرقان: 72]، وقد يكونُ على معنَى بلوغِ أقْصَى غاياتِ نوعِ الجوابِ والشَّرط، كما في هذه الآية الكريمة[1].

بلاغة الإيجاز في جملة المجازاة:

في الإيجاز بالاكتفاء بالمذكور تشويقٌ للمعدّ لهم من جزاء

أوجز في صوغ جملة الإثابة، والمجازاة بحذف متعلّق الفوز بقوله: ﴿فَقَدْ فَازَ﴾ من غير أنْ يذكر بأيِّ شيءٍ؛ وفي ذلك تشويق للمعدّ لهم من جزاء، وتطلّعٌ إلى تحصّله، ونيله؛ فـ " ذكر الفوز مطلقا غير متعلق به شيء يفيد أنه الفوز العظيم الذي يشمل كل ما يطلبه المرء من سلامة من مكروه، وفوز بمحبوب، وناهيك بالسلامة من النار، والفوز بالنعيم الدائم في دار القرار"[2].

معنى الحصر التوكيد، والمبالغة وكأنّه ليس للحياة الدنيا إلاّ هذا الوصف الذي تُعرف فيه

بديع الحَصْر في جملة الفاصلة:

وفي قولِه تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ تأكيدٌ بمنطوقِ الحَصْر - بأداته ﴿إِلَّا﴾ بعد النَّفي - لِمَا أفادَه الشَّرطُ السَّابقُ في قولِه: ﴿فَمَن زُحْزِحَ﴾ بأنَّ الحياةَ الدُّنيا سَرابٌ، ليس لها قائمةٌ في

(1) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/189.
(2) رضا، تفسير المنار: 4/223.

جَنْبِ الفَوزِ بالجنَّة؛ فالأُولى متاعٌ فان، والآخِرةُ خُلودٌ وبقاء، فهو من قصر موصوف على صفة، وهو قصر إضافي للمبالغة وكأنّه ليس للحياة الدنيا إلا هذا الوصف الذي تُعرف فيه[1].

براعة الاستعارة، أو التشبيه البليغ في الفاصلة:

شبّه اللهُ الدُّنيا بالمتاع الذي يُدلّس به على المُستام ويُغرُّ عليه حتى يشتريه

الغرور مصدر من قولك: غررتُ فلانًا غرورًا، وفي قولِه تعالى: ﴿مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ استعارةٌ، أو تشبيه بليغٌ؛ إذ " شبّه اللّه الدُّنيا بالمتاع الذي يُدلّس به على المُستام (المشاري) ويُغرُّ عليه حتى يشتريه ثم يُظهر له فساده ورداءته والشّيطان هو المدلّس الغَرور"[2].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(تُوَفَّوْن) و(تُعطَوْن) و(تَنالون):

معنَى ﴿تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ﴾: أيْ تَسْتَوفُونها كاملةً، وتتناولونَها وافيةً؛ والإعطاءُ: الإنالةُ، قالَ تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ [التّوبة: 29]، واختصَّ العَطيَّةَ والعطاءَ بالصِّلة، قالَ سُبحانه: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩﴾ [ص: 39][3]، والنَّيْلُ: ما يناله الإنسانُ بيدِه، قالَ تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: 92]، والنَّوْلُ: التَّناولُ، يُقالُ: نِلْتُ كذا أَنُولُه نَوْلًا، وأَنَلْتُهُ: أَوْليتُه، وذلكَ مثلُ: عَطَوْتُ كذا: تَناولتُ، وأعطيتُه: أَنلْتُه، وحقيقةُ النَّوال: ما يناله الإنسانُ مِنَ الصِّلة، وتحقيقُه ليس ذلكَ، ممّا تنالُ منه مُرادًا، قالَ تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾ [الحجّ: 37][4]. وبالنَّظر فيما تقدَّمَ، يظهرُ أنَّ بيانَ اللّهِ تعالى اسْتخدمَ الفعلَ الأَمْثلَ والأَلْيَق بالسِّياقِ؛ وهو ﴿تُوَفَّوۡنَ﴾ ذلكَ أنَّ الحديثَ فيه عن يوم القيامة، وهو يوم الحساب؛ فالمحاسبةُ والتَّوْفيةُ والاسْتيفاءُ؛ كلُّ ذلكَ

(1) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 4/189.
(2) الزّمَخْشري، الكشاف: 1/449، والرّازيّ، مفاتيح الغيب: 9/453.
(3) الرّاغب، المفردات، ص: 573.
(4) الرّاغب، المفردات، ص: 829 - 830.

يكون دونَ زيادةٍ أوْ نُقصان، كما قالَ تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [آل عمران: 25] وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286]، وهذا يَقْتضي الاسْتيفاءَ الكاملَ للأُجور، والتَّناوُلَ الوَافيَ لها، الَّذي سوف يبلغ التَّمام، دونَ نظَرٍ ولامحاباةٍ، ولا التفاتٍ لِمدْحِ مادحٍ، أو ثناءِ مُثْنٍ، أو عطيةِ إكرامٍ أو صِلَةٍ، أو نَيْلِ نَوالٍ، ممَّا يقتضيه الفعلان: (تُعطَوْن) و(تَنالونَ).

(زُحزِحَ) و(أُبْعِدَ) و(دُفِعَ):

معنى زُحزِحَ من الزَّحْزحة، وهي التّنحيّة عن الشّيء، وفي التّنزيل من الآية قيد التّفسير: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾، وأمّا البُعدُ فهو: ضدُّ القُرْب، وليس لهما حَدٌّ محدود، وإنَّما ذلكَ بحسبِ اعْتبارِ المكانِ بغيرِه، يُقالُ ذلكَ في المحسوسِ، وهو الأكثرُ، وفي المعقولِ، كما في قولِه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فُصّلت: 44]، ويُقالُ: بَعُدَ: إذا تباعَد، وهو بَعيد، كما قالَ تعالى: ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: 83][1]، وأمّا الدَّفعُ: فإنّه إذا عُدِّيَ بـ (إلى) اقْتضَى معنَى الإنَالة، كما في قولِه تعالى: ﴿فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النّساء 6]، وإذا عُدِّيَ بـ (عن) اقْتضَى معنَى الحماية، كما في قولِه سُبحانه: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحجّ: 38][2]، وهذا الَّذي تقدَّم في معاني الكلماتِ السَّابقة، يَقودُنا إلى أنَّ السّياقَ القرآنيَّ أثبتَ الفعلَ المناسب له وهو ﴿زُحْزِحَ﴾ ـــ دون الفعلين (أُبْعِدَ) و(دُفع) ـــ الَّذي يجمعُ في معناه كلًّا منهما مع الجَذْبِ في عَجَلةٍ، والإزالةِ عن المقرِّ، وهذا يقتضي عدمَ العَوْدِ إلى النَّار، ممَّا لم يتحقَّقْ في معنَى الإبعادِ والدَّفع، فربَّما يعود المُبْعَدُ والمدْفُوع إلى مقرِّه السَّابق. إضافةً إلى أنَّ زيادةَ المَبْنَى تدُلُّ على زيادةِ المعنَى، وخاصّةً مع تكريرِ الحُروفِ في نَفْسِ الكلمة، وهما الزَّايُ والحاءُ في الفعل ﴿زُحْزِحَ﴾، وليس ذلكَ متوفِّرٌ أو مُتوافِرٌ في فِعْلي الإبعادِ والدَّفْع.

(1) الرّاغب، المفردات، ص: 133.
(2) الراغب، المفردات، ص: 316.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»